إلا أن القتال ما لبث أن استؤنف صباح يوم 15 تموز، وذلك عندما استأنف غودفروا هجومه، بعنف، على السور، محاولاً أن يقترب منه ببرجه المتحرك وآلات حربه، «وكان البرج مغطىً بجلود الحيوانات المسلوخة حديثاً، وذلك لحماية الجسور من النار الإغريقية»[55] التي يرميها المسلمون. واستطاع غودفروا، بعد جهد ومشقة، أن يصل ببرجه إلى حافة السور، وأن يمدَّ، عند ظهر ذلك اليوم، جسراً، من البرج إلى السور، عند «باب الساهرة».

وكان «غودفروا» وأخوه «يوستاس» في الطابق العلوي من البرج، عندما تقدم اثنان من مقاتليه (وهما ليتولد وجيلبرت من تورناي Tournai) واقتحما السور، فتبعهما كل من غودفروا وأخيه، فكانوا أول من دخل مدينة القدس من المقاتلين الصليبيين صبيحة يوم 15 تموز/ يوليو 1099م. وما لبث، بعد ذلك، أن تدافع المهاجمون نحو السور يتسلقونه بسلالمهم وأوهاقهم، على رأسهم روبرت كونت الفلاندر وروبرت كونت النورماندي وتانكرد، مما جعل المدافعين يتراجعون، مذعورين، نحو «الحرم الشريف» لكي يحتموا به ولكن المهاجمين تبعوهم إلى «المسجد الأقصى» حيث جرت، كما يذكر مؤرخ (صليبي) مجهول «مجزرة» كان من نتيجتها أن «مشى رجالنا في الدم حتى كعوب أقدامهم»[56].

بعد ذلك، وزع غودفروا المهام على قادة الفرق، فأرسل منهم من يفتح «باب العمود» للقوى التي كانت لا تزال خارج المدينة، كما أرسل فرقة اقتحمت المدينة من الشرق، من باب يهوشافاط. أما تانكرد، فتقدم، من تلقاء نفسه، نحو «الحرم الشريف» حيث كانت «قبة الصخرة» بما تزخر به من ثروة ذكر ابن الأثير أنها كانت «نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة، وزن كل قنديل 3600 درهم، و. . . تنوراً (مصباحاً كبيراً) من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي، و. . . من القناديل الصغار 150 قنديلاً نقرة، ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً»، فغنمها كلها، وغنم الصليبيون من المسجد الأقصى، كما يذكر ابن الأثير أيضاً، «ما لا يقع عليه الإحصاء»[57].

---

(55) Grousset, Op. Cit., p. 158.

(56) Ibid. وانظر أيضاً، الصوري، المصدر السابق، ج 1: 434.

(57) ابن الأثير، ج 10: 284. والنقرة، من الذهب والفضة: القطعة المذابة، أو السبيكة.